[1]السيدة العذراء في عقيدة الكنيسة (2)

عظمة العذراء.. الله يعظِّم قديسيه

العذراء أم النور. العذراء والدة الإله. أم المخلص. أم عمانوئيل. أم الكلمة المتجسد.

نعظمك يا أم النور:

هكذا نقول في بداية قانون الإيمان.

وتعظيم القديسين تعليم إلهي كتابي

فيوحنا المعمدان الذي ارتكض في بطن أمه لما سمعت سلام العذراء، قال عنه الكتاب: "يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ" (لو1: 15)، وقال: "أنه أعظم من ولدتهم النساء" (مت11: 11).

فإن كان يوحنا هكذا عظيمًا، فكم بالأولى العذراء التي قال لها الملاك: "الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العليّ تظللك، فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يُدعى ابن الله".

والله يعظِّم أولاده في أعين غيرهم

هكذا قال الرب ليشوع: "الْيَوْمَ أَبْتَدِئُ أُعَظِّمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنِّي كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ" (يش3: 7).

"عَظَّمَ الرَّبُّ يَشُوعَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، فَهَابُوهُ كَمَا هَابُوا مُوسَى كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ" (يش4: 14)، وبنفس الوضع عظَّم الرب أبينا إبراهيم وقال له: "فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً" (تك12: 2).

فكم بالأولى العذراء التي القدير صنع بها عظائم (لو1: 49)، والتي أول آية صنعها كانت بشفاعتها (يو2).

العذراء التي استحقت أن تكون والدة الإله، هذه التي قال الوحي الإلهي أن **جميع الأجيال تطوِّبها** (لو1: 48).

كثيرون نالوا عظمة في جيلهم، أما هذه فتطوِّبها جميع الأجيال.

لقد عظَّم الرب إيمان المرأة الكنعانية، التي هي من جنس ملعون (تك9: 25)، وقال لها: "يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ!" (مت15: 28)، فكم بالأولى العذراء التي "آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ" (لو1: 45).

وقد عظَّم الرب المتواضعين، فقال: "فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت18: 4)، فكم بالأحرى هي "أم الرب" التي قالت: "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ" (لو1: 38). وإن كان الرب قد عظَّم نينوى، المدينة الخاطئة التائبة، فكم أجدر بهذا تكون هي التي قال عنها المزمور: "أَعْمالٌ مَجيدةٌ قَدْ قيلَتْ عَنْكِ يا مدينَةَ الله" (مز87: 3).

عظَّم الله الإناء الذي حلَّ فيه الرب. وفي عظمتها دعاها أمًّا للرسل.

ومن على الصليب، قال للقديس يوحنا الرسول عن العذراء: "هُوَذَا أُمُّكَ" (يو19: 27). فإن كانت قد صارت أمًا للرسول العظيم الذي هو أبونا، تكون إذًا أمًا لجميعنا. وقد قال الكتاب: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ" (خر20: 12)، وكأم روحية للبشرية جمعاء، نحن نكرِّمها.

أم النور الحقيقي

العذراء هي أم المسيح، الذي قيل عنه إنه: "النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ" (يو1: 9)، إذًا فهي أم النور الحقيقي.

وبنفس الوضع نتحدَّث عن العذراء من جهة كل أسماء وألقاب المسيح...

والدة الإله: ما دام المسيح هو الله (يو1: 1) (رو9: 5) (يو20: 28) ... إذًا فالعذراء هي والدة الإله. وقد حفظ لها هذا اللقب المجمع المسكوني المنعقد في أفسس سنة 431م ضد هرطقة نسطور.

وبهذا اللقب نادتها القديسة أليصابات قائلة: "من أين لي هذا، أن تأتي أم ربي إليَّ" (لو1: 43).

إنها أيضًا أم القدوس (لو1: 35)، وهي أم عمانوئيل (متى1: 23)، وهي أم المخلِّص (لو2: 11). إنها أم الكلمة المتجسّد.

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة العاشرة – العدد الثاني والعشرون 1-6-1979م